بسم الله الرحمن الرحيم

(دلاء ابن عقيل والماء الزلال)

العلّامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري عَلَم من أعلام شقراء لا أعرف من جيله من يساميه غير ثلاثة من الأعلام الشقراوية، ومنذ ألثر من ثلاثين سنة لم أرغب القراءة في الصحف إلّا لأرى أو لقاءي التصيبي رحمه الله وخلفه في أهله وفي الأمّة جميعاً خير خلف. ولئن لم يكن صوت أبي عبد الرحمن مزماراً من مزامير آل داوود كما ادّعى في السبايحي فلقد أوتي مثله في أسلوبه فلا أعرف أحداً يباريه من أعلام شقراء ولا غيرها في رصانته وملاءمته وخفة دمه. ولم ينس أهلي من فضله وكرمه وإحسانه فقد تذكرهم وذكرهم أكثر من مرّة آخرها في جريدة الجزيرة (العدد ١٤٨٣٩ في ١٤٢٤/٧/٥):

١) تذكر وذكر بوالدي عبد الرحمن رحمه الله وكتب عنه أحسن مما كتب لو حاولت، ولا زيادة لي على ما تفضل به إلا الفخر بأنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في مقدّم المحتسبين ألثر من عشرين سنة قبل أن تتحول هذه العبادة الفطيمة إلى مؤسّسة من مؤسّسات الدولة الكبرى، وقبل أن يعيّن رئيساً لها في شقراء وكاد أن يفقد حياته (لولا ما سبق من تقدير الله لأجل) بسبب اعتداء عدد من أبناء الأعراب انتقاماً منه لإلزامهم بالصلاة وتغريمهم على تكرار المجاهرة بتخلّفهم عنها بأمر الشيخ صالح بن محمود رحمه الله (قاضي شقراء يومها) تجاوز الله عنهم جميعاً، وذاك أخي إبراهيم ألثر معاناة أبي من ظلمهم.

٢) وتذكر وذكر بأخي صالح رحمه الله ولكم (في أبي وكل فتاة بأبيها معجبة) أحد الثلاثة الذين يساموون أبا عبد الرحمن من أعلام شقراء وهو من جيل أبي عبد الرحمن وألبر منه سنّاً بستّ سنوات على الأقل.

٣) وذكر أخي إبراهيم رحمه الله في بعض تباريحه بصفته أحد معلميه في ابتدائيّة شقراء، وأخي إبراهيم أحد أبنائي الذين أعجبت بهم في حرصهم على الصلاة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محتسباً وموظفاً، وخدمتم لوالدي عبد الرحمن، ثم للوالد الشيخ ابن باز (٩) سنة لا يُنافس فيها في هذه الميزة غير معالي الشيخ د. محمد بن سعد الشويعر أحد ثلاثة الأعلام الشقراوية الذين أشرت إليهم، وأبرز منجزاته نحو (٦٠) من فتاوى ومقالات ابن باز وكتاب تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية. وأخي إبراهيم بصدر الدين وعبد الله بن إبراهيم يافي تغمدهما الله.

٤) ولا بدّ أن تذكر وذكر بجدي العم عبد العزيز بن عبد الله الحصيّن الذي أنقذ الله به شقراء من براثن دولة الخلافة العثمانية وقائد جيشها لهدم الدعوة

والدولة إبراهيم باشا. وتولى القضاء في عهد الأئمة عبد العزيز بن محمد وسعود ابن عبد العزيز وعبد الله بن سعود رحمهم الله، وكان أول رسولي للدعوة والدولة السلفية السعودية إلى أشراف مكة عام ١١٨٣ ثم كان ثاني رسول لهم عام ١٢٠٤ هـ، رحمهم الله جميعا (ابن بشر وابن غنام).

٥) وقد لا يعرف أخي عبد الله الأول رحمه الله الذي خدم الوالد خدمة عظيمة مثل الأخ إبراهيم، وتميز بالهمة والعزيمة والحزم، وقد تكون خدمته للوالد خارجية شقراء أبعدته عن مجلس العلم في مسجد شقراء، وكان خطه فارسيا جميلا مثل خط الوالد.

وسمي أخي عبد الله (وزير المياه والكهرباء اليوم) باسمه وهو أصغر سنا من أبي عبد الرحمن فلا عجب لو لم تكن له معرفة خاصة، ولكني أشهد له شهادة حق لا مجاملة فيها أنه من خير من عرفت غيرة على شرع الله وعلى التوحيد والسنة، ومعونة لي على مكافحة الشرك وما دونه من البدع وأهلها، مع أن تخصصه الهندسة الكهربائية والرياضيات من أمريكا، ولم يتخصص في الشريعة مثلنا على الأزهريين في ملة المباركة.

٦) وتجاوزني قدري فجعلني (مدفع فتح) في حربي على المبتدعة والصوفية والحزبيين والحركيين في بلاد التوحيد والسنة الذين يغفرون عوجها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، كفاهم الله وكفى الإسلام والمسلمين شرهم، وأخشى أن تنكر ما نقلته عن ابن تيمية في وصف ابن حزم رحمهم الله جميعا بأنه (منجنيق المغرب) فسندم، لأنه ليس بعد المنجنيق إلا مدفع الفتح وبندقية الفتيل أو الشباط أو الخرطانة ألبق بي.

٧) ذكرت من نماذج العلماء الأعلام ابن باز رحمه الله الذي أعده مع الألباني رحمه الله مجدد هذا العصر لأخذ بيد طلاب العلم والعلماء العرب للالتزام الدليل من الكتاب والسنة، وابن عثيمين رحمه الله وابن فوزان أيد الله أبرز من صرف جل وقته للعلم والتعليم والعبادة والدعوة إلى الله على منهج السلف في هذا العصر خطابة ودروسا، ويزيد الفوزان بالرد على المبتدعة.

وتذكر الشيخ ابن عقيل وذكر بعده من العلماء وطلاب العلم، وفي كل خير، ولكني لا أعرف منهم من يلتزم في قرب ابن عثيمين والفوزان فضلا عن ابن باز وأقربهم إلى زلل الشيخ عبد المحسن العباد، ولكني أرجئ في رسالة خاصة أن حركيي الزلفي أعدوه فصار يقلل نقد ولاة الأمر على الانترنت وكان قبل بضع سنوات ينكر على المواجي وأمثال زلل، وابن الشيخ د. عبد الرزاق العباد من خير علماء السلف الكهول علما ونشاطا (فابن الشيخ عواد)، ولكنه (في رأيي) يبالغ في الحذر من تغيير منكر التفرق في الدين باسم التجمع والتحزب، وكان في أول أمره لا يأخذه في الله لومة لائم حزبي.

٨) وأذكر علامة الجزيرة (وهو أحق بهذا اللقب من محمد الجاسر رحمه الله) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلين في الإنكار على من يتول في المسجد وعلى من استأذن في الزنى، ولا يلين في الإنكار على من قارف الشرك اللفظي فضلاً عن العملي: «أجعلتني لله ندًّا؟» «بئس الخطيب أنت»، «لقد قلتم مثل ما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة».

وقد أنعم الله عليّ بالتركيز على إفراد الله بالعبادة ونضح عمن سواه منذ أدركت أن هذا أمايز الله به كل رسله في كل زمان ومكان، ومنذ تبينت أن وثنية المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة هي بعينها وثنية الجاهلية الأولى منذ قوم نوح كما ورد في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله تعالى عن أوثان قوم نوح وقوم نوح: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا﴾ قال: أولئك أسماء رجال صالحين، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن انبوا في مجالسهم أنصابًا، (من صحيح البخاري وتفسير ابن جرير) وقد هالني ما رأيت من هذه الأوثان في مصر وأنها لم تتغير من صلاح الدين إلى محمد مرسي، وما رأيت في بلاد الشام والعراق وبلاد العجم وفي كل بلاد المسلمين (عدا السعودية)، وما رأيته في المسجد الإبراهيمي بزعمهم في فلسطين، وكان مسجد أوثان (٤ قبور) لليهود ثم النصارى فجعله المتأخرون إلى الإسلام مسجد أوثان (٧ أضرحة) يضيق بها المصلى ولا يزال كذلك.

وهذا الذي يجعلني أمايز ابن تيمية وابن عبد الوهاب وابن عثيمين وابن فوزان وأمثالهم وأخصهم بالدعاء كل ليلة ومعهم أئمة آل سعود الذين حملوا راية التجديد والتوحيد والسنة منذ عام ١١٨٧هـ قبل موت الإمام محمد بن عبد الوهاب بتسع عشرة سنة. أما مجرد حفظ المتون والشروح فلن يكون خيرًا من حفظ القرآن دون العمل به وتبليغه، وقد نذم النبي صلى الله عليه وسلم من أحداث يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم ومن ذكرهم الشيخ من لا يتميزون بعلم ولا عمل ولا دعوة على ما كان عليه النبي وأصحابه رغم الألقاب الدراسية والوظيفية.

٩) ولمن كان لشيخنا كلمة طيبة كما زعم فمنها ما يوافق به الكوثري والسبكي والبكري وأضرابهم من الأشعريين والمحدثين في لمز مجدد القرن السابع والثامن ابن تيمية رحمه الله وأسكنه الفردوس من الجنة بحجة التحذير من التمرد على تقليده أو التعصب له، وأن كلام ابن تيمية رحمه الله اختلف في مسألة أو مسائل، وليت شيخنا تفضل بقراءة مقالي بعنوان: (السلفي من يلتزم بالدليل بفهم السلف) ومقالي: (الفرق بين السلفي

وبين المريد الصوفي والحزبي)، وفي الأول منهما أنكرت الرد على ابن تيمية والله تعالى قد أمرنا في آية محكمة بالرد إليه وإلى رسوله، وفي مقالات لا أحصيها ألزمت نفسي وغيري بالدليل من الوحي وبفقه أئمة وفقهاء القرون الخيرة في آياته وأحاديثه لا بفقه من بعدهم ليتحد المعيار الفقهي منذ نهاية القرون التي أثنى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة.

١٠) ولو اختلف كلام ابن تيمية أو ابن القيم أو محمد بن عبد الوهاب أو ابن باز أو الألباني (المجددون منذ القرن السابع) وقبلهم الشافعي في قوله القديم والجديد ثم أحمد بن حنبل في الروايتين عنه رحمهم الله جميعا وأسكنهم الفردوس من الجنة، هل ينقص هذا الاختلاف من قدرهم وقدر فهم الله وحملهم من خير أهل الذكر بعد الصحابة والتابعين؟

١١) ومن الذي لا يختلف قوله في مسألة أو مسائل كثيرة وقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾؟

١٢) لا يميز الناس بحصيلتهم في علم أو فن، وإنما يميزون بقدر اتباعهم للدليل من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في القرون الخيرة، ودعوة الناس إلى الله بهذا الدليل وهذا الفهم، أولا وقبل كل شيء بنشر توحيد الله بالعبادة ونبذ ما عدا ذلك من سواه، والتزام اتباع السنة والتحذير من الابتداع في الدين: الشرك فما دونه، ونحن ابن تيمية رحمه الله لما التفت عليه الأمة من الاعتراف له بالعلم والعمل وإزالة ما تمكن من إزالته من الأشجار والنصب والأوثان والتحذير من بقيتها، وجهاده بقلمه ولسانه وسيفه أعداء الإسلام والمسلمين، لما تميز الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لجمعه نحو ثلاثين ألف حديث في مسنده وجهده، ولما ميزه الله به من الثبات لمحنة القول بخلق القرآن وتحمله السجن والتعذيب ومنع من تعليم الأمة بضع عشرة سنة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، ولهذا ما تعرفه أكثر منا ولكنا نبينه للفكريين والحركيين والحزبيين الذين فرحوا بالحزل ابن تيميه ولم يتذكروا ما قيل عنه في المجلة العربية وغيرها وما قال عن خاصروا منهاج السنة في القرون السبعة الماضية، ونقول لهم ما قاله محمد بن يوسف الشافعي اليمني للسبكي:

(نزلت حول حماه كي تنازله • فما علوت عليه بل علوت به)

وجزى الله العلامة ابن عقيل خير الجزاء وأجزل الثواب وأحسن الله له الخاتمة والرزق وثبته على شرعه وسنة نبيه ﷺ ١٤٢٤/١١/٢٩ هـ